الصورة الحسية البصرية في أشعار الحماسة المغربية

أ.م.د شروق حيدر فليح

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

drshuqhaydar@gmail.com

الملخص

يُعدُّ الشعر عملاً أدبيّاً خاصّاً، يعبّر الإنسان من خلاله عمّا يعتريه من مشاعر وأحاسيس، ومن خلاله يكشف الإنسان المبدع عن همومه وأحزانه، وهذا الكشف يتطلب قراءة نقديّة واعية تلامس النَّصَّ الشّعريّ ملامسة قادرة على فهمه وتحليله، وكلما كان النّصُّ أكثر تمثُّلاً للذات ولكلّ ما يحيط بتلك الذات كان النّصُّ في مراتب متقدمة من الجمالية، ومن مظان الجماليّة في الشّعر هو: تمثّل الشاعر لجمالية المشهد البصري تمثُّلاً كاشفاً عن العلاقة الرابطة بين الشاعر الإنسان، وما يحيطه، والشاعر العربيّ تمثّل تلك العلاقة خير تمثيل، وما المقدمات الطلليّة الّتي وقف عندها الشاعر العربيّ القديم إلّا دليل واضح وكاشف عن تلك العلاقة، ولم يكن الشّاعر الحديث بمعزل عن مكانه الّذي نشأ فيه، وشعراء الحماسة المغربية من الشّعراء الّذين وقفوا عند المحيط الخارجي حيث المكان والطبيعة والمرأة واصفين ومصورين، فوظّف ا حاسة البصر في أشعرهم وحملت في طياتها تمثّلات مختلفة.

والبحث يقوم على دراسة وتحليل الصورة البصرية في (الحماسة المغربية)، من خلال الوقوف على عدد من النماذج الشعرية ، من أجل تحليلها أولا والكشف عنها ثانيا وتقييمها ثالثا ، وبيان مواطن الجمال فيها، فالصورة البصرية في تلك الحماسة هي صورة حاول فيها الشعراء مزج الواقع بالخيال ، والمتعة بالمنفعة والمجرد بالمحسوس الحسي المدرك، تكشف لنا عن ذلك من خلال الوقوف على عدد من النماذج الشعرية.

الكلمات المفتاحية: (الصورة، الصورة الحسية البصرية، الحماسة المغربية).

Visual Sensory Imagery in Moroccan Enthusiasm Poetry

Assistant Professor Shorouk Haidar Falih
Ministry of Higher Education and Scientific Research
drshuqhaydar@gmail.com

Abstract

Poetry is a special literary work through which a person expresses their feelings and emotions. Through it, a creative person reveals their concerns and sorrows. This revelation requires a conscious critical reading that touches upon the poetic text in a way that enables understanding and analysis. The more the text represents the self and everything surrounding that self, the more advanced the text's aesthetics will be. One of the sources of aesthetics in poetry is the poet's representation of the aesthetics of the visual scene, a representation that reveals the relationship between the poet, the human being, and his surroundings. The Arab poet best represents this relationship. The ruined introductions that the ancient Arab poet addressed are clear and revealing evidence of this relationship. The modern poet was not isolated from the place in which he grew up, and the poets of Moroccan enthusiasm is one of the poets who focused on the external environment, where place, nature, and women are described and depicted. They employed the sense of sight in their poetry, which carried within it various representations.

The research is based on the study and analysis of the visual image in Moroccan enthusiasm, through examining a number of poetic models, in order to analyze them first, reveal them second, evaluate them third, and highlight their beauty. The visual image in this enthusiasm is one in which poets attempted to blend reality with fantasy, pleasure with benefit, and the abstract with the tangible and perceptible. This is revealed to us through examining a number of poetic models.

Keywords: (image, visual sensory image, Moroccan enthusiasm).

أولا : مفهوم الصورة الحسّيّة :

"تعتبر الصورة الفنية جوهر الإبداع الشعري، حيث تمثل تشكيلًا جماليًا ونفسيًا يتشكل من المدركات الحسية والمعنوية التي يلتقطها الشاعر المبدع، وفقًا لتأثره بها. من خلال هذه الصور، يمكننا استكشاف الدوافع النفسية الكامنة وراء ألفاظ القصيدة ومكوناتها الفنية، بالإضافة إلى أسسها البنائية وسماتها الأسلوبية. كما تعكس هذه الصور التأثيرات العميقة التي تركتها التجارب والمشاهد في حياة الشاعر على وجدانه، مما يؤدي إلى تدفق مشاعره في صياغات جمالية محسوسة، مشحونة بعاطفة تتفاعل معها نفس المتلقي بشكل تلقائي. وهكذا، يمكننا أن نشعر بانفعالات الشاعر وخلجات نفسه، مما يعكس نبوغه الفني وعبقريته الشعرية الفريدة من خلال الربط بين الخيال والصورة (عصفور ، ١٩٩٢: ١٤) .

كما ((تعدّ الصّورة الفنيّة أداة مهمة تساعد في تقريب الفكرة وإيصالها للمتلقّي بطريقة فنيّة جميلة، فتسهم بالارتقاء الفنّيّ للتّعبير ولتحقيق الجماليّات المنشودة لخلق الإمتاع عند تلقّي القصيدة"))،

"تعتبر الصورة الشعرية عنصرًا أساسيًا في القصيدة العربية عبر العصور، حيث تمثل مركز التكثيف الدلالي في النص. إنها علاقة جمالية تربط بين الكاتب والمتلقي، مما يخلق تفاعلًا ديناميكيًا بين النص والقارئ. تُعد الصورة الشعرية أداة فعالة في التعبير الفني، حيث تعتمد على توظيف التراكيب اللغوية ودلالاتها وعلاقاتها المتبادلة. وبالتالي، فإن الصورة الشعرية تمثل الشكل الفني الذي يستثمر طاقات اللغة وإمكاناتها في الدلالة والتركيب والإيقاع".

"تمثل الصورة، في مفهومها العام، الواقع المرئي سواءً كان ذهنياً أو بصرياً، حيث تعكس إدراكاً مباشراً للعالم الخارجي الموضوعي من خلال تجسيد حسّي ورؤية بصرية. يتسم هذا التمثيل من ناحية بالتكثيف والاختزال والاختصار والتصغير والتخييل والتحويل، بينما يتميز من ناحية أخرى بالتضخيم والتهويل والمبالغة والتكبير. وبالتالي، فإن العلاقة بين الصورة والواقع التمثيلي تتجلى كعلاقة محاكاة مباشرة، أو انعكاس جدلي، أو تماثل، أو حتى مفارقة صارخة".

والصورة الحسية هي الصورة التي يتجه الشاعر فيها إلى الحواس الخمس في خلقه الشِعري، ولا فرق بين الحقيقي والمجازي، والحواس هي النافذة التي يستقبل بها الذهن مواد التجربة الخام، فيعيد تشكيلها على وفق ما يتصوره من معان ودلالات، غير أن الصور الموحية لا تتأتى من مجرد حشد

المدركات الحسية ووصفها، وإنما تتطلب نوعا من العلاقة الجدلية بين الذات المبدعة ومدركاتها الحسية، فنحذف منها أشياء ونضيف إليها اشياء أخرى، ويعاد تركيب تلك المدركات في صور مغايرة لكل اشكالها المألوفة (أنور الشعر، ٢٠١٦: ٣٢٤) .

يقصد بها الصور التي تستمد بنيتها من الحواس الخمس كالبصر والشم والسمع والذوق واللمس، والشاعر حين يستعمل هذه الحواس في تكوين الصورة لا يقصد أن يمثل بها صورة لحشدٍ معين من المحسوسات بل الحقيقة أنه يقصد بها تمثيل تصور ذهني معين له دلالاته وقيمته الشعرية (القطري ، ١٩٧٨ : ٤٣٥) .

ثانيا : مفهوم الصورة البصرية :

الصورة هو "نقل الإحساس بالأشياء كما تُدرك وليس كما تُعرف، وهذا يتطلَّب إسقاط الألفة عن الأشياء أو تغريبها؛ ذلك لأن عملية الإدراك هي غاية جمالية في ذاتها،

إنّ حاسّة البصر من أهمّ الحواسّ الّتي يلتقط بها الشّاعر صوره، وبما أنّ الشّعر لغة وتصوير يظهر تميّز الشّاعر في تصويره للجمال ورصده للظواهر من خلال سبك اللغة وإجادة التّصوير، والأديب الموفّق يعرض الأشياء أو الأحداث كأنّها حقائق ملموسة على شكل صورة مصوّرة أو مجسّمة)الكندي ، ٢٠٠٦ : ٢٩) .

تتميز هذه الصورة من التحويل على حاسة البصر التي تقع عليها الرؤية البصرية لخلق صورة مشحونة بخيال المنتج، والرؤى في تحريك حسّ المتلقي وشعوره الذاتي، من خلال وجود الأنساق الصورية ذات الوظائف الفاعلة في بنية النص لخلق الصورة البصرية، لأن هدفها اكتشاف وحضور وإقناع وتأثير، فضلاً عن كونها معادلاً موضوعيًا بالنسبة للشاعر (إسماعيل ، ١٩٩٧: ١٣٢) .

تتميز هذه الصورة من التحويل على حاسة البصر التي تقع عليها الرؤية البصرية لخلق صورة مشحونة بخيال المنتج، والرؤى في تحريك حسّ المتلقي وشعوره الذاتي، من خلال وجود الأنساق الصورية ذات الوظائف الفاعلة في بنية النص لخلق الصورة البصرية، لأن هدفها اكتشاف وحضور وإقناع وتأثير، فضلاً عن كونها معادلاً موضوعيًا بالنسبة للشاعر (عصفور، ١٩٩٨ : ٢٩ – ٣٠) .

تعدّ الحواسّ من وسائل إدراك العالم الخارجيّ ولها الدّور الأساس والفعّال في رسم اللّوحات الفنّيّة، ومن خلال الصّورة الحسّيّة يتمّ محاكاة الواقع وإعادة تشكيله عن طريق الحواسّ، فيستلهم الشّاعر عبر الحواسّ البصريّة والسّمعيّة والشّميّة والذّوقيّة واللّمسيّة صوره الفنّيّة المتكوّنة في السّياقات النّفسيّة والاجتماعيّة والسّياسيّة بما يثري النّصّ من دلالات مختلفة يثير فيها الشّاعر أحاسيس المتلقي (الشايب ، ١٩٩٤ : ٢١١) .

فالصورة البصرية هي صورة كان لحاسة البصر الحقيقية أم الجازية دور في تشكليها وإعادة انتاجها بما يجعل المتلقي في درجة عالية من الدهشة ، فغالبا ما تكون صورة الأشياء المجازية هي أجمل وأكثر تأثيرا من صورتها الحقيقة ، والبصر عامل رئيس في تحقيق ذلك ، بحاسة البصر عند الشاعر هي حاسة تتعدى عملية الإدراك الفيزياوي الذي يرد الأشياء كما هي ، بينما البصر عند الشعراء عملية فاعلة مسهمة في الرصد والتشكيل وإعادة وصف الأشياء محاولا إضفاء القيمة الجمالية على صوره الشعرية .

ثالثا : الصورة البصرية في أشعار الحماسة المغربية :

بلور الدكتور كامل حسن البصير مفهومه للصورة على إنَّها ((ما يتماثل بوساطة الكلام للمتلقي من مدركات حسا ، و معقولات فهما ، ومتخيلات تصورا ، و موهمات تخمينا ، وأحاسيس وجدانا وما إلى ذلك من الأشياء والأمور التي تعطي إليها هذه القوة أو تلك من القوى المركبة في الإنسان وعيا ومن غير وعي)) (عنوز، ٢٠٠٥ :٣٥) .

وهذا يعني أن الصورة الشعرية في أحدث تجلياتها هو مدرك بصري يعمل ذلك المدرك على جعل الصورة الواقعية البصرية إلى صورة خيالية فنية ذهنية ، فالبصر فيها مسهم بصورة رئيسة في خلق الصور أو إعادة تشكيلها على وفق تقنية فنية تربط بين الصور والأشياء بمهارة عالية ، ومن أجل التدليل على ذلك سنقف عند عدد من النماذج الشعرية لتكون تطبيقا لما زعمناه ، من مثل قول أبي الذؤيب الهذلي في قصيدته المشهورة :

أَمِنَ الْمَنُونِ وَرَيبه تَتَوَجَّعُ وَالدَّهْرُ لَيْسَ بِمُعْتِبٍ مَنْ يَجْزَعُ (البحر الكامل)

وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا أَلْفَيْتَ كُـلَّ تَمِيمَةٍ لاَ تَنْفَـعُ (عنوز، ٢٠٠٥ :٣٥)

قامت الصورة الحسية البصرية في هذين البيتين على توظيف حاسة البصر الإدراكية ، فمن خلال هذه الإدراكية البصرية تشكلت الصورة ، وحاول من خلالها إيجاد مقاربة بصرية ذهنية ، منتجا صورة شعرية مركبة ، فالصورة البصرية هنا قد بنيت بناء ذهنيا وتحقق ذلك بواسطة الفعل (ألفيتُ) ، المتضمن فعل الحس البصري المدرك ، ومن ثم تحول إلى تجربة حياتية معيشة ، فبعد أن مهّد لهذه الصورة الذهنية بمقدمة قائمة على الاستفهام الإنكاري (أَمِنَ الْمَنُونِ وَرَيبه تَتَوَجَّعُ) ، وأسلوب النفي المؤكد بحرف الجر الزائد (وَالدَّهْرُ لَيْسَ بِمُعْتِبٍ مَنْ يَجْزَعُ) ، انتقل إلى الصورة البصرية التي تحولت إلى ذهنية مدركة ، فالشاعر بعد أن شاهد وابصر الحية رأى أن كل التمائم لا تغني من ملاقاة الحقيقة الكونية (الموت) .

اوقول النابغة الجعدي :

ملكنا فلم نكشفْ قناعاً لحرّةٍ ولم نــستلب إلاّ الحديد المُسمّرا (بحر الطويل)
وإنا لقومٌ ما نعـوّدُ خَيْلنَـا إذا ما الْتَقَيْنَا أن تـــحيدَ وتنفرا
وننكرُ يوم الرّوع ألوان خَيْلنَا من الطعْنِ حَتَّى تحسب الجون أشقرا
بلغنا السَّمَاء مَجدنَا وسناءنا وَإِنَّا لنَرْجُو فـوق ذلك مــظهرا (الجراوي،١٩٩١: ٣٧)

تشكلت الصورة البصرية من خلال مزج اللون بالصورة أو المشهد البصري ، مشكلا في هذه الصورة ما يعرف بالصورة الحسية يقصد بها الصور التي تستمد بنيتها من الحواس الخمس كالبصر والشم والسمع والذوق واللمس، والشاعر حين يستعمل هذه الحواس في تكوين الصورة لا يقصد أن يمثل بها صورة لحشدٍ معين من المحسوسات بل الحقيقة أنه يقصد بها تمثيل تصور ذهني معين له دلالاته وقيمته الشعرية (البصير ، ١٩٨٧: ٢٦٧) .

ومنه قول عمرو بن كلثوم :

بأنـا نورد الـرَّايَات بيضــاً ونصدرهن حمـراً قد روينـا (البحر الوافر)
متى ننقل الى قــومٍ رحانـا يَكُونُـوا فِي اللِّقَاء لها طحينا
يكون ثفالهــا شرقي نـجدٍ ولهــوتها قضاعة أجمعينا
ورثنا المجد قد علمت معـدٍّ نطــاعــن دونه حَتَّى يبينا
ونحن الحاكمون إذا أطعنــا ونحن العازمـون إذا عُصينا

ونحن التاركون إذا سخطنـا ونحـن الآخذون إذا رضينـا
لنا الدُّنْيَا ومن أضحى عليها ونبطش حين نبطش قادرينـا (الجراوي، ١٩٩١ : ٨٠٣).

قوله : ((بأنـا نورد الـرَّايَات بيضـاً ، ونصدرهن حمـراً قد روينـا)) ، صورة حسية بصرية تعبر واقيا عن حالة الحرب ، الممزوجة بحالة التفاخر، فصورة الفخر جاءت متربطة جدلا بجدلية اللون الأبيض الدال على بدء الحرب وباللون الأحمر المعبر عن نهايتها كناية عن كثر القتلى ومن ثم الانتصار ، من هنا جاءت الصورة حسية البصرية معبرة عن شعور نفسي متعال تملّك الشاعر، وهذا الشعور المتعالي جعله من أنا الشاعر تبدو في أعلى درجات الزهو والتفاخر (الشجاعة)، ثم استكمل الصورة الحسية البصرية في الأبيات اللاحقة ، لتكون الصورة لوحة متكاملة ، فربطها بصورة الفخر القبلي ، فقوله : ((ورثنا المجد)) ، و((نحن الحاكمون)) ، (نحن التاركون)) ، ((نحن الآخذون)) ، كلها صور فخرية مرتبطة جدلا بالصورة الحسية البصرية التي بدأ بها الشاعر قصيدته . ، ومن هنا يمكن القول أن الصورة الشعرية هنا ، قد اصطبغت بأساس موقف الشاعر من الوجود الذي أعتمد فيه على ثقافته الخاصة أكثر من اعتماده على تجاربه المباشرة (الجراوي ، ١٩٩١ : ٥٧٥) .

كونه وظف اللون في تشكيل المعنى الشعري ورسم الصورة الشعرية ، يمثل اللون وسيلة للشاعر لإحداث التوترات المرتبطة بالتجربة الشعورية، حيث يعمل كعامل مثير للحواس.

(إسماعيل، ١٩٩٧ :١٣٢)

ومنه قول حسان بن ثابت :

مَنَعَ النَومَ بِالعَشاءِ الهُمـومُ وَخَيالٌ إِذا تَغـورُ النُجـومُ (البحر الخفيف)
مِن حَبيبٍ أَصابَ قَلبَكَ مِنـهُ سَقَمٌ فَهوَ داخِـــلٌ مَكتومُ
يا لَقَوم هَل يَقتُلُ المَرءَ مِثلي واهِنُ البَطشِ وَالعِظامِ سَؤومُ
لَو يَدِبُّ الحَولِيُّ مِن وَلَدِ الذَر رِ عَلَيها لَأَندَبَتها الكُلـــومُ
شَأنُها العِطرُ وَالفِراشُ وَيَعلو ها لِجَينٌ وَلُـؤلُـــؤٌ مَنظومُ
لَم تَفُقها شَمسُ النَهارِ بِشَيءٍ غَيرَ أَنَّ الشَبابَ لَيسَ يَدومُ (الجراوي ،١٩٩١: ٥٧٤-٥٧٥).

تشكلت الصورة البصرية في هذه الومضة الشعرية تشكلا قائما على استحضار اللون الأبيض، فجاءت الصورة فيها على صورة لوحة تشكيلية ، فالشاعر ربط الهموم بمشهد النجوم وهي تغور في

كبد السماء ، فالصورة هنا صورة بصرية حسية ، عرضها في صورة كلية ، بيد أن تلك الصورة البصرية ليس الغاية منها الكشف عن جمالها فقط ، "فالجمال الأدبي أو الفني عموماً لا يتوقف عند جمال الشكل، فكلما كان العمل الأدبي فيه من الجدة والابتكار والتركيب والتباين، وكلما فاجأنا، وادهشنا، ودفعنا إلى التساؤل والحيرة كان ذلك العمل جميلا ورائعا؛ لأنه يثيرنا فيدفعنا إلى استكشافه، ولا يسلم نفسه جاهزاً إلى المتلقي (الورقي ، ١٩٩٠ : ١٦٥) .

ومنه قول امرئ القَيْس : [الخفيف]

وَبَيضَةِ خِدرٍ لا يُرامُ خِباؤُها تَمَتَّعتُ مِن لَهوٍ بِها غَيرَ مُعجَلِ
تَجاوَزتُ أَحراساً إِلَيها وَمَعشَراً عَلَيَّ حِراصاً لَو يُشرّونَ مَقتَلي
إِذا اِلتَفَتَت نَحوي تَضَوَّعَ ريحُها نَسيمَ الصَبا جاءَت بِرَيّا القَرَنفُلِ
مُهَفهَفَةٌ بَيضاءُ غَيرُ مُفاضَةٍ تَرائِبُها مَصقولَةٌ كَالسَجَنجَلِ
كَبِكرِ مُقاناةِ البَياضِ بِصُفرَةٍ غَذاها نَميرُ الماءِ غَيرُ المُحَلَّلِ
تَصُدُّ وَتُبدي عَن أَسيلٍ وَتَتَّقي بِناظِرَةٍ مِن وَحشِ وَجرَةَ مُطفِلِ
وَجيدٍ كَجيدِ الرِئمِ لَيسَ بِفاحِشٍ إِذا هِيَ نَصَّتهُ وَلا بِمُعَطَّلِ (الكندي ، ١٩٨٨ : ٢٨)

لقد بني النص على وفق مشهد بصري مدرك ، على وفق رؤية خاصة أراد الشاعر من خلالها رسم صورة حسية للمرأة الجسد، فالشاعر قدّم غزلاً حسياً رقيقاً، فقد وصفها بالمهفهفة البيضاء غير المفاضة ، فهي مصقولة الخصر كالسجنجل (كالفضة) ، وبذلك قد خلق الشاعر جوّاً تصويرياً حسياً ، أراد من خلاله الشاعر تصوير مشاعره والكشف عن انفعالاته ، فأخذ يقدم تشبيها حسياً مدركا إزاء المرأة المحبوبة ، ثم انتقل ليستكمل الصورة الحسية البصرية مرة أخرى، فقد قدم مشهدا صوريا بصريا لجيدها ، فقد شبّهه بجيد الغزال الذي ليس بفاحش، ولا بمعطّل وتركيز الشاعر على الجسد هنا لأنه ((يمثل بتكويناته المختلفة ركيزة أساسية في بناء النص الأدبي والشعري بوجه الخصوص من خلال البنية الثقافية التي يتبناها الجسد من كونه محوراً اساسياً لصناعة الصور التي تبيح للشاعر رسمها بأشكال مختلفة حسب الثقافة التي ينتمى إليها الشاعر)) (الجراوي ، ١٩٩١ : ٨٩٧) .

ومن ذلك قول قيس بن ذريح :

أَلا يا غُرابَ البَينِ قَد طِرتَ بِالَّذي أُحاذِرُ مِن لُبنى فَهَـل أَنتَ واقِـعُ (البحر الطويل)

كَـأَنَّ بِلادَ اللهِ ما لَـم تَكُن بِها وَإِن كانَ فيها الخَلقُ ـوَحْشٌ بَلاقِعُ

أُقَضّي نَهـاري بِالحَديثِ وَبِالمُنى وَيَجمَعُني بِاللَيـلِ وَالهَــمَّ جامِعُ

نَهاري نَهارُ الناسِ حَتّى إِذا دَجا لِيــا اللَيـلُ هَزَّتني إِلَيكَ المَضاجِعُ

لقَد نَشَأَت في القَلبِ مِنك مَحَبةٌ كَمــا ثَبتت في الراحَتَينِ الأَصابِـعُ (حمزة ، ٢٠٠٩)

وتتبلور في هذه الأبيات صورة بصرية متشابكة ، تكونت من خلال تجسيد اللغة نفسها، وتجاورها في إعادة صوغ معطيات اللغة، وإثراء عمله الجديد بالتقاط العلاقات البلاغية كالاستعارة بأنواعها والتشبيه والكناية والمجاز ليخرج بها الشاعر من مستوى الخطاب الاعتيادي في تكثيف المعنى إلى مستوى الخطاب الشِعري الإيمائي لشد المُتلقّي وتنبيهه إلى محتوى المقصود من خلال الابتعاد عن السطحية والابتذال في خلق شفافية النص (الحماسة المغربية ، ١٩٩١ : ٨٩٨ – ٨٩٩) .

ومنه قول سُدَيْفٌ :

وَإذا ابتَسمنَ فَعنَّ بَرقِ غَمــامةٍ أو إقـحـوانِ الرَّملِ باتَ مَعينا (البحر الكامل)

وإذا نَطَقنَ تَـخالُـهـنَّ نَـواظمـاً دُرّاً يُفَصّلُ لُـؤلُــؤاً مَكنُـونا

وإذا طَرفنَ طَرفنَ عَــن حَدقِ المَها وَفَضـلْنهُنَّ مَحاجِراً وعُيونا

وَأَصحُّ مـا رأتْ العُيونُ رَواجِحاً وَلَهنَّ أمـرضُ ما رأيتُ عُيونا

وَكَـأنَّما تِلكَ الـوجـوه أهــلّةٌ أَقْمــرنَ بين العَشرِ والعِشرينا

وكـأنَّهُنَّ إذا نَهضــــنَ لِحاجةٍ يَنهضْنَ بالعَــقداتِ من يَبرينا

(الطائي ، ١٩٩٨ : ١٠٢)

الصورة البصرية في هذه الأبيات جاءت على شكل (("سلسلة من المرايا موضوعة في زوايا مختلفة بحيث تعكس الموضوع وهو يتطور في أوجه مختلفة، ولكنها صورة سحرية وهي لا تعكس الموضوع فقط، بل تعطيه الحياة والشكل")) (الجراوي، ١٩٩١ : ٩٢٧).

فقد وصف الشاعر بصريا ابتسامة تلك النسوة، فهي لامعة كبروق الغمامة، أو اقحوان الرمل، ثم يصف منطقهن كمن ينظم لؤلؤا مكنونا، ثم استكمل الصورة الحسية البصرية بصورة إذ وصف

عيونهن، فقد وصفها بعيون المها حسنا وجمالاً، ثم وصف وجوههن، فهي كالأقمار بين العشر والعشرين، والصورة البصرية هذا جزء أساسي من تجربة الشاعر الشعورية، حيث تتجلى فيه مهارته الفنية والجمالية. تساهم عناصر الصوت والدلالة واللون، بالإضافة إلى الحركة، في تشكيل هذه التجربة. وبالتالي، تصبح الصورة الفنية تعبيرًا جماليًا يتكون من مجموعة من العناصر، مما يعكس تداخل العلاقات التعبيرية والفنية. من خلال اتحاد هذه العناصر الذاتية والموضوعية، تتجلى صور الفرد أو الجماعة، وتبرز التجربة الذاتية للشاعر، مما يعكس تجارب متعددة تحمل عمقًا إنسانيًا وتاريخيًا (الجاحظ ، ٢٠٠٥ : ٧٦) .

ومنه قول أبي فراس الحمداني :

وجيشٌ يُثنّي كلَّ طودٍ كأنّهُ خريقُ رياحٍ واجهت غُصُناً رَطبا (البحر الطويل)

كأنَّ نجومَ اللَّيلِ خافتْ مُغارَهُ فمدّتْ عليها من عَجاجَته حُجْبا

(الجراوي ، ١٩٩١ : ١١٠٦-١١٠٧)

في هذه الصورة، يتجه الشاعر إلى حاسة البصر في خلقه الشِعري، "لا يوجد فرق بين المعنى الحقيقي والمجازي، فالحواس تعمل كنافذة يستقبل من خلالها الذهن مواد التجربة الخام، ليعيد تشكيلها وفق ما يتصوره من معانٍ ودلالات. ومع ذلك، فإن الصور المعبرة لا تنشأ فقط من تجميع المدركات الحسية ووصفها، بل تتطلب نوعًا من العلاقة الجدلية بين الذات المبدعة ومدركاتها الحسية. حيث نقوم بحذف بعض العناصر وإضافة أخرى، مما يؤدي إلى إعادة تركيب تلك المدركات في صور جديدة تختلف عن أشكالها المعتادة (بن فارس ، ٢٠٠٥ : ٣١١) .

تُعتبر الصورة السمعية ذات أهمية لا تقل عن الصورة البصرية، حيث تحمل قيمة حسية وعقلية وجمالية، وتُستخدم كرموز وإشارات وعلامات في تحرير النصوص الشعرية. تتقارب حاسة السمع مع حاسة البصر من خلال الربط بين تصور الأصوات وتخيلها وفقًا لدلالاتها الحسية والنفسية. فالصورة الشعرية تعتمد على التكثيف، فهي شاملة من الناحية البنيوية، وتعمل على تكثيف المعاني من الناحية الوظيفية، مما يجعلها شمولية لتتمكن من تحقيق هذا التكثيف (الجراوي،١٩٩١: ٥٥٧).

قول (عَلقَمَة بن عَبدَة) :

وَقَد أَغتَدي وَالطَيرُ في وُكُناتِها وَماءُ النَدى يَجري عَلى كُلِّ مِذنَبِ (البحر الطويل)

بِمُنجَرِدٍ قَيـدِ الأَوابـدِ لاحَـهُ طِرادُ الهَـوادي كُلَّ شَأوٍ مُغَرِّبِ (الكندي ، ١٩٩٨ : ٢٩).

لتوفير عنصر الإثارة في النفس، يخلق الشاعر من خلال صورته رؤاه ومواقفه بكيفية متميزة لتجسِّد بؤرة الموضوع والتركيز عليها، كي يخلق طاقته الشِعرية في تشكيل القوى الإدراكية المؤثرة في استحضار المعنى، ولم يكن جديداً على الشِعر العربي القديم، إذ كان الشعراء يستخدمون الخيال حتى في كلامهم، والإمعان فيه لحاجتهم النفسية والعقلية والروحية، وقد استند الشاعر ولاّء الصوَّاف في نصوصه على آلية التشخيص بصورةٍ وافرة لما يتوافق مع حاجته الذاتية.

(الرباعي ، ٢٠٠٦ :٢١٠)

في بناء الصورة التشخيصية الظاهرة ليبني صورة تشكيلية تضم حالاتها المنفردة، فتكون فيها متشابكة الحلقات والأجزاء على وفق خيوط وثيقة مرتبطة بعضها إلى بعضٍ كي تُشكِّل في نهايتها الصورة الفنية المشخصة التي تنتج عن تفاعل كلا الجانبين النفسي والبلاغي، والتي يرمي بها الشاعر إلى اكتمال معطياتها الإدراكية (عصفور، ١٩٩١ : ٦٣).

الخاتمة :

تمنح حاسة البصر النص الشعري عمقًا تصويريًا وأبعادًا إيحائية تجذب انتباه المتلقي. لذا، يُعتبر التصوير وسيلة تكشف عن حقيقة الموقف الجمالي الذي عاشه الشاعر أثناء عملية الإبداع، حيث يرسم أبعاد هذا الموقف من خلال المقارنة بين طرفي التشبيه. هذه المقارنة لا تهدف إلى تفضيل أحد الطرفين على الآخر، بل تربط بينهما في حالة أو صيغة معينة. لذلك، أدرك الشعراء القيمة الفنية التعبيرية لحاسة البصر في رسم الصور الشعرية وخلقها بشكل فني، إذ تتيح لهم استخدامها كأداة لتصوير مشاعرهم الداخلية. من خلال هذه الحاسة، استطاعوا تجسيد أفكارهم وتحويلها من مجرد تفكير إلى تجارب محسوسة، مما جعلهم يكثرون من استخدامها في أشعارهم. كما سعى الشعراء اللاحقون إلى استلهام تجارب السابقين. في هذا السياق، استخدم شعراء الحماسة المغربية حاسة البصر في الرصد والكشف والتصوير، مما جعلها جزءًا أساسيًا من صورهم الشعرية. وقد اتخذوا منها أداة لكشف الدلالات التي يدور حولها النص الشعري، من خلال تجليات نوعية تعبر عن العواطف وتصف الأحاسيس.، فوظفوها توظيفا بيانيا أسهم بصورة فاعلة في رسم المعنى وتكثيف الدلالة ، فتحول عندهم المجرد غير المدرك إلى المحسوس الملموس ، تحقق ذلك كله بتقنية بلاغية تستكشف

المجهول، تربط المرئي بالمجرد، والواضح بالغامض، والجلي بالخفي، فالصورة البصرية في الحماسة جاءت صورا شعرية حيّة ، قابلة للتحول والتغير نحو ما هو جميل ماتع.

المصادر

١. إسماعيل ، عز الدين (د.ت) الشعر العربي المعاصر– قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، د. عز الدين اسماعيل، دار الفكر العربي، ط ٣

٢. البصير ، كامل حسن (١٩٨٧) بناء الصورة الفنية في البيان العربي، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد، د . ط ١

٣. الجاحظ (٢٠٠٥) البيان والتبيين ، منشورات الكتب العلمية ، بيروت

٤. الجرّاوي التادلي ، أبو العباس أحمد بن عبد السلام (ت ٦٠٩هـ) (١٩٩١) الحماسة المغربية ، تحقيق: محمد رضوان الداية ، دار الفكر المعاصر – بيروت

٥. جوهن ، جان (١٩٨٦) اللغة العليا النظرية الشعرية ، ترجمة : محمد الولي ومحمد العمري ، سلسلة المعرفة الأدبية، دار توبقال ، الدار البيضاء ، ط١

٦. سلدن ، رامان (١٩٩٨) النظرية الأدبية المعاصرة، رامان سلدن، ترجمة: د. جابر عصفور، دار أنباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د . ط ١

٧. الشايب ، أحمد (١٩٩٤) أصول النقد الأدبي ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط ٤

٨. الشعر ، أنور (٢٠١٦) النّزعة الإنسانيّة في الشّعر العربيّ المعاصر في فلسطين والأردن(٢٠٠٠_٢٠١٠)، د. أنور الشعر، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، ط١

٩. الطائي ، حسنين عماد (١٩٩١) تجليات صورة المرأة والنسق الثقافي في الشعر العراقي دار الفكر ، بيروت

١٠. عبد الله الثاني ، قدور (٢٠٠٧) سيمياء الصورة ، مؤسسة الرواق للنشر، عمان، ط١

١١. عصفور ، جابر (١٩٩٢) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط٣

١٢. عكيوش ، الأخضر (٢٠٠٩) مفهوم الصورة الشعرية حديثاً ، الأخضر عكيوس ، دار اليعارب ، بيروت .

١٣. عنوز ، صباح (٢٠٠٥) دلالة الصورة الحسية في الشِعر الحسيني النجف الأشرف

١٤. القطري ، عبد القادر (١٩٧٨) الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر ، ، دار النهضة العربية ، بيروت

١٥. كندي ، محمد علي (٢٠٠٣) الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث ، ، ، دار العودة، بيروت، ط١

١٦. والورقي ، سعيد (١٩٧٩) لغة الشعر العربي الحديث مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د. ط ٢